

الحياة ليست عملا فنيا متقنا

التشيكية هانا أندرونيكوف

تخوض رحلتها الأخيرة في «سماء بلا قاع»

تحملنا الروايات إلى عوالم من ذواتنا نجهلها، وسواء كانت متخيلة أو مبنية على قصص حقيقية فإنها تثير فينا التساؤل وتكشف لنا عن مشاعرنا وأفكارنا وأصواتنا الدفينة من خلال شخصياتها، وهذا ما نجد أنفسنا كقراء أمامه في رواية «سماء بلا قاع» للتشيكية هانا أندرونيكوف، والتي نقف فيها معها وجها لوجه أمام مرض السرطان، لا لتبكي أو تتألم بل لتعيد تعريف الحياة والحقيقة والزمن.

خلف قشور أصوات أخرى. حيث المطر يتساقط دون توقف، وكأنه طريق العودة، وهي كأنها تكتشف شيئا ما، تبحث عن شيء بين سطور لغة ليست لغتها، ولن تكون يوما، تواصل الغوص، تحافظ بكل قواها على صورة تحتضر، يخفي الصوت خلف النافذة، ولا أثر للمطر.

تجد الرواية نفسها تتحدث إلى ظلال فوق السرير، إلى ما بقي من جسده، تتذكر متى سمعت صوته لأخر مرة، تناديه لأنه يعرف الأشياء كلها، تستدعيه وهو يضحك ضحكة رقيقة سعيدة. وفي لحظة أخرى تشعر بالفقر، وأن شيئا ما دخلها يقفز، تريد أن تتصدع، تنفجر، أن تطير وتصرخ، أن ترمي الأشياء وتحطمها، أن تمزق ثوبها وجلدها وشرايينها، والجدران الباهتة، تريد أن تتسحق كل شيء بقدمها مثل أكواب بلاستيكية، الأشياء والمشاعر والذكريات وتلقينها في القمامة.

تستدرك أن كليهما لا يزالان عالقين، كل واحد منهما في أحد طرفي الحبل، ينتعدان عن بعضهما، هو يمضي نحو الموت، وهي نحو الحياة، وتكون حياتها أول هدية يهبها لها، وتستعيد وقوفها في نهاية الشارع، تبتسم كلما اقترب منها، يوماً لها ويطلبها للرقص.

تقول إنها ورثت الفن عنه، فن السحر الأسود، أن تكون في مكان ما ولا تكون، أن تسمع ولا تسمع، أن تغرق الحياة في الكتب، أن تحيا من راحتها، وأن كلمات مثل الغضب والسعادة والحب والمقاومة تنفتح على معان جديدة، تراها تتمتع في الإغماء، في الهديان المتعلم، لكنها تعرف كيف تسير الأمور على وجه الأرض.

تصور الرواية حجرة الانتظار في قسم الإفاقة والإنعاش، تقول إنها دائما خالية، لا يجلس فيها أحد، لا يبكي فيها أحد، ثم فجأة تمتلئ نحيبا وعويلا، وتمتلئ بعدد من الناس. تتابع قصة فتاة مرضية تخبرها أثناء الليل أن الموت هبة، ويمكنها أن تختار فقط ما الذي ستفعله بها، هبة تقبلها، ولا تتبدل قيمتها، لأن الهدية التي ترفضها لا قيمة لها.

حين تسمع بموت أحد المرضى، تتأمل في ماهية الموت والحياة أكثر فأكثر، تقول إن الحياة ليست عملا فنيا متقنا، إنها فيلم محترف تجتذ منه أجزاء غير مناسبة قد ينقصها

هيثم حسين
كاتب سوري

في روايتها «سماء بلا قاع» تقدم الكاتبة التشيكية هانا أندرونيكوف (1967-2011) حكايتها مع مرض السرطان وانتظار الموت، بطريقة تقرب من سيرة ذاتية، ويكون الصراع مع السرطان جزءا من الحكاية وليس جوهرها، حيث البحث في أعماق النفس البشرية عن أسرار الحياة والموت والجمال وغيرها من التفاصيل والأفكار والمفاهيم. تستحضر الرواية بداية عازف البيانو الكندي الشهير غلين غولد (1932-1982)، وهي على سرير المرض في المستشفى، تخبره أنها تجلس في مكتبه، وتفكر فيه، في فن فقدان الذاكرة، وفي تفاصيل عمله وحياته، تتابع رجلا يشبهه كثيرا، رجلا منكبيا على نفسه، لا يتحرك، جسده من أسلاك وإبر وأنابيب، وهي عاجزة عن أن تجده في صبر الإبر، وقطرات المحلول، وكياس الدم التي تلمع كالجيلاتين.

السحر الأسود

تقول أندرونيكوف في روايتها، الصادرة عن منشورات دار ابن رشد، بترجمة خالد البلتاجي، إن البشر يختبئون في كل لغة بطريقة مختلفة،

هانا أندرونيكوف جعلت روايتها سيرة ذاتية ونوعت في أسلوب السرد لتحكي عن المحطات التي تمر بها بطلتها



امرأة تواجه العالم بالصمت (لوحة للفنانة زينة عاصي)



الوجود يشبه اللعبة الفردية (لوحة للفنانة زينة مصطفى)

النفس كفضاء مفتوح

توقن بطلا أندرونيكوف أن الخيوط تتصل ببعضها البعض أثناء الليل، خيوط العالم المنثور على الطاولة، تربط قارات العالم، وتفكر في حياتها وكيف أنها تبذل، وفي عزمها على أن تعيدها إلى ما كانت عليه، وتخاطب القراء بشكل مباشر قائلة «عزائي، هذه ليست أسطورة، أخبروني في شهر يناير أني مصابة بالسرطان، أو من أنه يجب خلع الروح بادئ ذي بدء من أجل أن يحترق الجسد؛ لذلك أنا ذاهبة لعلاج الروح في غابة استوائية مطيرة، شيء ما يقودني إلى هناك، وعندما أسأل إن كان لهذه الرحلة قلب؛ أجيب: نعم، فانا ذاهبة».

تحدث عن صدمتها بالحقيقة، وأن الحقيقة كلمة غريبة، ويقول المعجم إنها كل ما هو صادق وصحيح، كل ما حدث بالفعل، وتستدرك أن كل حقيقة هي ذلك في لحظة بعينها، في نقطة محددة، وفجأة تتحطم وتتكرر، وأن الحقيقة مثل الأوراق فوق الأشجار، يصفر لونها، وتتساقط وتتفسخ كي تنمو من جديد.

تتساءل إن كانت هنالك ضرورة للخلص من كل شيء كي يصبح حقيقة، أم يكفي مخطط، بضعة خطوط، والباقي يكمل كل إنسان كما يريد، وتجد أنها لسبب أو لآخر لا يمكنها أن تكتب كل شيء، كلما حاولت علقت الجمل في داخلها، وتعثرت الكلمات.

لن تكتب أنها لا تعرف على الإطلاق سبب ذهابها إلى هناك، ولماذا التردد، تردد القريب والبعيد، تردد من ارتباك الجميع ونظراتهم التي تتوسل إليها وتلصقها بالحائط بما تصفه بالحب اللزج وتخفقها. وتتساءل عن مذاق الحقيقة غير المنتخبة، لتجيب بأنه يجب أن تتجرع بضع رشقات من سم قاتل، وأنها ذاهبة للبحث عن معنى لحياتها البالية.

وتغير الكاتبة أسئلة عن الوقت، وتصف بطلتها التي تلتفت حولها فلا تجد أي قاموس يشرح المعنى أو يصفه. تحكي أن الوقت كمقدار فيزيائي يعبر عن فترة استمرار الحدث، ولكن يجب تعريف الاستمرار، الزمكان، البعد، الإحداثيات، والسهم الذي يحدد الاتجاه الذي يسير فيه الزمن، وتتم تجرئة هذا الخط المستقيم الوهمي إلى أجزاء مثل قطعة الخبز، ثم يشكو المرء ضيقه.

تقول الرواية إنها بحاجة إلى التفكير بإيجابية من أجل الشفاء، إلى هدوء في روحها، وحسب كل ما حولها، وإن الطبيعية ستساغدها، ولكن

لا بد أن تعتاد عليها أولا، الأشجار، النباتات، والماء، ستقبلها بعد أن تتعرف عليها جيدا، سيمنحها الماء قوة عندما تتحد معه، تريد أن تتحد مع الطبيعة، تستمد منها قوتها، وتذكر أن هيمغواي أيضا كان دائما يعود إلى الطبيعة، يعيش معها، يستمد منها قوته، وإلهامه، اتحد معها وفي النهاية أطلق النار على نفسه.

بطلة الرواية تؤمن بالصمت وترى أن له طبيعة مباشرة على عكس الكلمات والضجيج اللذين يخبئان كل شيء

تنوع أندرونيكوف في أسلوب السرد، وتعتمد على أسلوب المراسلة، تحكي من خلاله المحطات التي تمر بها بطلتها، وانتقالها إلى الأراضي المقدسة، وتعرفها على البدوي فتحي الذي تعشقه، وتكتب أن الوضع هناك يكون مثل قطع الشطرنج، مثل كل البشرية، أسوار عمرها آلاف الأعوام، تطوق عظام الذين آمنوا بأن هذه القطعة من العالم وحدها ستؤمن لهم مهذا في السماوات. تراودها أحلام غريبة، تتصيد الضوء في الظلام، ولا ترى أي أثر للقاع، تكون السماء مفتوحة إلى ما لا نهاية، فضاء مفتوح يفضي إلى الذات البشرية وداخلها العميق الذي لا قاع له، وكأنه سماء مفتوحة بلا قاع.

موريتانيا الحديثة

أصدر المفكر الموريتاني اعلي سالم ولد خيار كتابا بعنوان «لا تدعونا ننسهم»، يتحدث فيه عن ذاكرة موريتانيا الحديثة وخاصة أيام نشأتها، ويتناول هذا الإصدار النادر، إن لم يكن الوحيد من نوعه، الشخصيات الرئيسية التي قدمت إسهامات مشهودة في بناء الدولة، وبالذات تلك المتوفاة منها. ويحاول المؤلف الإبقاء على جذوة الذاكرة المشتركة للأمة متوهجة من خلال استذكار من وضعوا بصماتهم في تاريخ موريتانيا المعاصر، وتتضمن الشخصيات المتناولة الجيل الأول من بناء الدولة الحديثة من منظرين ومفكرين ومصالحين وسياسيين بارزين ضحوا من أجل ميلاد كيان مؤسسي مستقل رغم العوائق الجمة والمتنوعة التي كانت تعمل ضد ذلك.

ويتصدر قائمة المؤسسين لموريتانيا الحديثة وفق الكاتب الرئيس الأول للبلد والذي يطلق عليه لقب أب الأمة، المخترار ولد دادة، إلى جانب من شاركوه نفس الطموح ونفس الطرح. ويعكس الكتاب موريتانيا باللونين الأبيض والأسود وموريتانيا الملونة ويبرز وجه البناء أيام النشأة.



قاموس أمازيغي

صدر عن المحافظة السامية للغة الأمازيغية بالجزائر، قاموس باللغتين الفرنسية والأمازيغية، خاص بالمصطلحات التاريخية، من تأليف حبيب الله منصور. ويسد الكتاب الذي يضم 210 صفحات، فراغا في مجال التوليد اللغوي. ويمكن الاستعانة به في ترجمة كتب التاريخ إلى اللغة الأمازيغية، وكذلك في تعليم التاريخ في أقسام اللغة والثقافة الأمازيغية.

ويواصل المعجم، أيضا، نهج البحث الذي أطلقه قاموس «أموال» باللغتين الأمازيغية والفرنسية، والذي أنجزه الكاتب المختص في اللسانيات مولود معمر في عام 1980.

واختار مؤلف القاموس مفاهيم مستمدة من عدد كبير من كتب التاريخ مع إعطاء الأولوية لتاريخ شمال أفريقيا بغية اقتراح مفردات بديلة باللغة الأمازيغية. ويضع الكتاب بين أيدي الباحثين والطلبة، فصلا مخصصا للكلمات المترجمة من اللغة الفرنسية إلى الأمازيغية، وفصلا آخر يتعلق بالمفاهيم والعبارات التي تخص بعض المجالات، على غرار السياسة، والاقتصاد، وعلم الاجتماع. كما سيسهل عملية الترجمة وخاصة العلمية إلى الأمازيغية ومنها.



موسيقى المتوسط

«الأيقونوغرافيا الموسيقية في حوض البحر الأبيض المتوسط زمن الرقمنة المكنفة للصور، كتاب تونسي جماعي، قدم لهذا العمل الأستاذ في جامعة السوربون فريدريك بيلي، والأستاذ المساعد في المعهد العالي للموسيقى في تونس حمدي مخلوف.

يجمع الكتاب نصوصا لفعاليات الندوة الدولية حول الأيقونوغرافيا الموسيقية التي التامت سبتمبر 2019 في تونس، ويناقش فيه مختصون التحديات الجديدة، ولاسيما التكنولوجية منها، للحفاظ على الرموز الموسيقية وتوثيقها في منطقة البحر الأبيض المتوسط.

كما يقدم مؤلفو الكتاب، الصادر أخيرا عن «مركز الموسيقى العربية والمتوسطية»، قواعد البيانات الرقمية المختلفة التي تم إنتاجها حتى الآن، ويؤكدون مميزات التشغيل البيئي وتناقل البيانات في ما بين تلك القواعد من أجل فهم أفضل لتطور الموسيقى عبر التاريخ. يحتوي الإصدار أيضا على ببلوغرافيا شاملة ومنوعة، وعلى العديد من الرسوم التوضيحية الملونة لبعض الأيقونات الموجودة في تونس وعلى ضفتي البحر الأبيض المتوسط.

